مجلة دراسات تاريخية

ISSN: 9741-2352 EISSN :6723-2600

رحلة السعيد الورثيلاني في الجزائر والحجاز من خلال كتابه الرحلة الورثيلانية

The Journey of Al-Saeed Al-Wartelani's in Algeria and the Hijaz through his book Al-Worthelian Journey

د/ خديجة الغازي
Khadidja elghazi
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)
khadidjaelghazi @gmail.com

أ.د عبد المجيد بوجلة
Abdelmadjid Boudjella
جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان (الجزائر)
m-boudjella@yahoo.fr

الارسال: 22/02/22 القبول :22/03/25 النشر:2022/04/16 المرسل: خديجة الغازي

الملخص:

كثيرة هي الكتابات والأقلام التي خصت مواضيع الرحلة لاعتبارها أكثر المدارس تثقيفا للإنسان دليل ذلك انتشار السفر والارتحال، وقد تزامن مع ذلك تنوع أقلام الرحالة في تدوين أماكن رحلاتهم. فاختلفت الكتابات والآراء والمواقف باختلاف مشارب أصحابها بين مسلم ومستشرق أو غربي كولونيالي، لكنها تميزت بإبداع نصوص الرحالة التي تجلت من خلالها نزعتهم الفنية أو الطبيعية وحتى الاستعمارية المسيطرة. أسهم الجزائريون مساهمة واضحة في كتابة الرحلات ولا سيما خلال القرن 12 هـ/ 18 م فكانت بعض رحلاتهم نتيجة للحج تعرف بالرحلات الحجازية وبعضها الآخر لطلب العلم وهي ما عرفت بالرحلات العلمية. ورغم الاختلاف اتفقت جميعا في نقطة واحدة هي البعد الحضاري الديني والسياسي للجزائر وكذلك الاقتصادي خلال كل فترات التاريخية. من بين الرحلات العديدة نذكر رحلة السعيد الورثيلاني والتي تعد رحلة جزائرية حجازية وصف خلالها هذه الأماكن بالتفصيل، سنحاول خلال هذه الدراسة عرض بعض محطات رحلة الحسين بن محمد السعيد الورثيلاني في الجزائر من خلال كتابه " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار".

الكلمات الدالة: الحسين بن محمد السعيد الورثيلاني، الرحلة، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، بني ورثيلان، سطيف.

Abstract

There are many writings that focusert on the topics of the trip because it is considered the most educating school for man. This is evidenced by the spread of travel and pilgrimage, And the diversity of the traveler's writinges coincided with that in noting down the places of their trips. The writings, opinions, and attitudes differed according to the different walks of their owners, between a Muslim, an Orientalist, or a Western colonialist, but they were distinguished by the creativity of the traveler's texts through which their artistic, natural, and even the dominant colonialism was manifested. The Algerians made a clear contribution to writing trips, especially during the 12th century H / 18th century. Despite the differences, they all agreed on one point, which is the cultural, religious and political dimension of Algeria, as well as the economic dimension during all historical periods. Among the many trips, we mention the journey of Al-Saeed Al-Warthalani, which is an Algerian Hijazi journey, during which he described these places in detail. During this study, we will try to present some of the stations of Al-Hussein bin Muhammad Al-Saeed Al-Warthalani's journey in Algeria through his book « Nazhat El Andar fi fadl a tarikh wa lakhber » which vearly means "The Excursion of Attentions in the Excellence of History and News."

Keywords. Al-Hussein bin Muhammad Al-Saeed Al-Wartilani; The Excursion; Nazhat El Andar fi fadl a tarikh wa lakhber; Bani Worthilan, Setif.

مقدمة:

يرتبط مفهوم الرحلة في الأصل اللغوي العربي بركوب الإبل أو الجياد وترويضها. وقد عرفها لسان الدين بن الخطيب أنها " الارتحال والترحال رحلة بالضم الوجه الذي تأخذ فيه وتريده.." [1] فالرحلة هنا تعني السير والضرب في الأرض والارتحال من مكان إلى آخر.."[2]. أما في تعريفها الاصطلاحي فهي من رحل عن المكان بمعنى تركه ورحل إلى المكان انتقل إليه ورحل البلاد طافها وتنقل فيها. وتعرف الرحلة أيضا كحركة ومخالطة للناس والأقوام وتعرف على المناطق ووصف الثقافات الإنسانية ورصد لبعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع ما وفي زمن معين وبواسطتها يحصل الرحالة على مادة ثرية من المعلومات المستمدة من الملاحظة المباشرة والمعاينة الشخصية عن أحوال البلدان السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية كطبائع الناس ومعالم حضارتهم وخصوصياتهم. وتمثل الرحلة مظهرا من المظاهر الحضارية الواضحة في مختلف العصور الإسلامية. [3] تجمع بين النثر والشعر، وتحصيل العلم والإجازات بجمع الكتب والمتون.[4]

يعد أدب الرحلة من الفنون الأدبية والتقاليد العربية التي عرفت منذ القديم، وقد ذكر القرآن الكريم أن العرب كانت لهم رحلتان في السنة من أجل التجارة من مكة إلى اليمن شتاء ورحلة من مكة إلى الشام في فصل الصيف. قال الله تعالى في كتابه الكريم ﴿لإيلاف قريش إيلا فهم رحلة الشتاء والصيف﴾. وقد كان الغرض من الرحلة قبل الإسلام التجارة عموما، ولكن بعد الإسلام كانت لدوافع ومقاصد عديدة. واتخذت شكلا متميزا باعتبارها عملا مدونا ذا طابع علمي وأدبي يتناول الكثير من الجوانب الواقعية. حيث يتوفر على مادة غزيرة تعد من أهم المصادر التاريخية والجغرافية والاجتماعية. وتختلف الرحلة باختلاف الأغراض البشرية التي تستدعي القيام بها، فبعضها يغلب عليه الجانب العلمي والتاريخي والجغرافي. وبعضه الآخر يغلب عليه الجانب الأدبي والوجداني. والبعض الآخر بغرض أداء فريضة الحج. كما يمكن أن يجمع بين أكثر من غرض، حيث كان معظم الرحالة يستغلون رحلتهم للحج للقاء العلماء والمشايخ والأخذ عنهم بمختلف البلاد الإسلامية التي يمر بها أثناء الذهاب والإياب. [5] تصنف الرحلات إلى نوعين الأول رحلة الحج هي رحلات حجازية إلى البقاع المقدسة و مكة المكرمة بقصد إتمام الركن الخامس من أركان الدين الإسلامي ، وقد شاعت في الجزائر كما في بلدان المغرب العربي الذين عرفوا بالميل الشديد للمشرق وبالشغف لزيارة الكعبة الشريفة.[6] أما النوع الثاني فهو لطلب العلم وتعرف بالرحلات العلمية و هي تلك الرحلات التي قام بها أصحابها بغرض طلب العلم والزيارة والاطلاع على البلدان عموما والأخذ عن علمائها وممارسة التجارة فيها أحيانا.[7] فالباحث عن العلم يتفاعل مع محيطه تأثيرا وتأثرا، تعليما وتعلما، أخذا وعطاء. فهو في المجالس يتصدر مجلس العلم تعليما وشرحا نصحا وفتوى تخريجا وإجازة. أما في مجالس أخرى متعلما على يد من هو أعلى منه درجة وأرفع منه مرتبة دافعه في ذلك طلب العلم استجابة لأمر الله تعالى وسنة رسوله الكريم.[8] في حين أدرج الدكتور نواف عبد العزيز الجحمة نوع ثالثا من الرحلات هي رحلة السياحة والتجوال تزداد إشعاعا وخصوبة في الغرب الإسلامي لأن أهله ومفكريه كانت لهم الرغبة في الأخذ عن الشيوخ وزيارة الأماكن المقدسة والجولة من أجل الاطلاع والبحث.[9]

إن كتابات الرحالة الجزائريين أقل بالمقارنة مع الرحالة المغاربة ويعود ذلك لثلاثة أسباب. أولها أن الرحالة الجزائريين لم يدونوا رحلاتهم. ثانيها أن الرحالة الجزائريين لم يعودوا إلى الجزائر أمثال عيسى الثعالبي ويحيى الشاوي وأحمد المقري وأحمد بن عمار وغيرهم. ولعل ذلك يعود انعدام مراكز علمية معروفة كالأزهر الشريف بمصر، القرويين بالمغرب الأقصى والحرمين الشريفين بمكة المكرمة والمدينة المنورة والزيتونة بتونس. أما السبب الثالث أن بعض الرحلات جاء شعرا فصيحا أو ملحونا وبعضها كتب نثرا مسجوعا أو مرسلا. وعموما فالملاحظ أن الرحلات الحجازية أكثر وفرة نسبيا كما أنها تنقسم إلى قسمين شعرية ونثرية. وقد جاءت هذه الرحلات نتيجة زيارة البقاع المقدسة فالحجاز التي كانت بالنسبة لهم ليست رقعة جغرافية تزار للسياحة والعلم لكنها مثلت قطعة أرض طاهرة تضم تاريخ الوعي والدعوة والأمة الإسلامية وأرض الرسول صلى الله عليه وسلم ومقدمة كل هذه الرحلات تظهر ذلك.[10] والملاحظ أن بعض المغاربة لا يكتفون برحلة واحدة إلى المشرق العربي عامة وإلى بلاد الحجاز خاصة ولكنهم بمجرد أن يعودوا إلى مدنهم في المغرب يسارعون إلى العودة من جديد إلى المشرق.[11] جاءت هذه الرحلات عادة نثرية لا شعرية لأنها تمنح الفرصة لأصحابها لتسجيل انطباعاتهم وما شاهدوه وسمعوه ليس في الحجاز فقط ولكن في مختلف المدن التي مروا بها من الجزائر إلى بغداد. مرورا بتونس وطرابلس ومصر والجزيرة العربية وسورية والقدس وأهم الرحلات التي خاضت في ذلك هي الرحلة الورثيلانية موضوع هذه الدراسة التي سجلت مسالكه ومنازله ودراساته وأخباره وأخبار المرافقين له والحوادث التي جرت كما أن ولده وصفها بقوله " رحلة فيها طرفا وظرفا" ما يدل على أن الرحلة لم تكن كلها عن المسائل العلمية والشيوخ.[12]

1. التعريف بالحسين السعيد الورثيلاني

الحسين بن محمد السعيد بن الحسين بن محمد بن عبد القادر بن أحمد الشريف ولد في بني ورثيلان شمال غرب سطيف سنة 1125هـ/ 1713م وتوفي بنفس مكان ميلاده في شهر رمضان سنة 1193هـ/ 1779م وبعضهم قال عام 1194هـ عن عمر ناهز 68 سنة. [13] يعود نسبه إلى أسرة عربية شريفة من بيت علم وفضل وصلاح [14]. وتشير بعض المصادر التاريخية إلى شرفاء تافيلات بالمغرب الأقصى ثم انتقلت الأسرة إلى مدينة بجاية. لتستقر في عهد جده على البجائي ببني ورثيلان[15] كان جده من ميلة وقد صاهر أسرة محمد أمقران حاكم منطقة قنزات وأصبح شيخ علم معترفا له وأسس نفوذ الأسرة الروحي في المنطقة. وبعد وفاته أقيمت له قبة باعتباره من كبار المرابطين [16] ووالده محمد السعيد كان عالم في التوحيد مدرك للتصوف وفقيه ومحقق.[17] ويصف شيخ المؤرخين الدكتور أبو القاسم سعد الله نسب الورثيلاني أنه جمع بين الدين والدنيا الأولى عن طريق جده ووالده اللذين كانا من المرابطين. والثانية عن طريق أخواله أولاد أمقران الذين كانوا حكاما ورجال سيف. كما أن الورثيلاني تزوج من احدى بنات أسرة المسعود بن عبد الرحمن من بني عيدل وهي من الأسر الكبيرة والعريقة التي كانت على صلة بعائلات قسنطينة.[18] وبذلك كان نسب الورثيلاني سببا ليكون شخصية ثقافية بارزة، بل ومن أشهر علماء زمانه إن كان ذلك في الفقه أو علم الكلام أو حتى الفلسفة إضافة إلى أسلوبه الذي يجمع بين الأسلوب الروائي والنثر والسجع والشعر والحكمة. [19] رغم ذلك فقد نشأ الورثيلاني في ظروف فقيرة أساسها

التقشف الصوفي، ودخل المدرسة القرآنية في سن صغير حفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ودرس الفقه واللغة وبقية علوم الظاهر والباطن. ثم ارتحل إلى زوايا جرجرة ودلس والجزائر يبحث عن العلم فدرس الفقه والنحو والتصوف والتوحيد.[20] وكذلك ارتحل إلى الجزائر العاصمة، تلمسان، مليانة، البليدة، المسيلة وبسكرة طلبا للعلم.[21]

أتقن السعيد الورثيلاني اللغة والأدب والعروض والتاريخ وسار على درب أبيه وجده، خليفة لهم في التدريس ولما تصدره أصبح شيخا لزاوية الأسرة. وقد تخرج على يده العديد من التلاميذ الذين تولوا بدورهم وظائف دينية سامية. وبذلك يعتبر الشيخ الحسين الورثيلاني رحالة ومؤرخا وفقيها ومتصوفا [22] وقد غلبت على الشيخ الورثيلاني الروح الصوفية وجمع بين علوم الظاهر والباطن يسير في مذهبه الصوفي على مبادئ الطريقة الشاذلية. واعتبر الشيخ علم التاريخ من العلوم التي تزيد في فضل الانسان وتبعده عن القبائح، وانتقد عدم الاهتمام به.[23] أما شخصيته فهي غير بعيدة عن مسار رحلته ولا عن غرضها، كلها مرتبطة بالحج أثناء الرحلة كجملة المرافقين من الأهل والأصحاب والتلاميذ والمريدين، أو في طريقها كالمشايخ والأولياء والصالحين الذين قام بزيارتهم أو زيارة أضرحتهم. وقد حرص أثناء تقديمهم التعريف بهم ولو باختصار كأن يذكر أنسابهم أو انتمائهم وأوطانهم أو الكرامات التي عرفها منهم كما في قوله: " قال شيخنا المذكور ما نصه قال أبو سالم وأخبرني من أثق به أن هذا الصالح كان يجلس عند زيتونة عند قبره حين كان حيا فجاء رجل بعد موته فجلس في ذلك المحل وشرب الدخان فلما نام ذلك الرجل في الليل جاءه ووقف عليه وضربه على رأسه وقال له مكان كنت أجلس فيه فجئت إليه فنجسته فأصبح الرجل أعمى." ومما جاء عنه أيضا عن نساء أحد فضلاء مدينة قسنطينة قوله: " ...شاهدت منها أمورا عظيمة وقد سمعت منها أنها قالت كنت أولا قد ملكني الحال وغلبني والآن ملكته وغلبته وكانت تجتمع مع رجال الغيب وقالت أيضا فمهما صدر مني ما لا يحل من كلام أو إشارة أو رؤية إلا وبعث الله لي أحدا من خلقه فلا أعلم أنه من الملائكة أو صالح الجن يضربها ضربا على قدر ما خالفت به فيكفر لها ذنبها وغير ذلك من أوصافها المحمودة وخصالها الكريمة ..." وأيضا جاء عنه في موضع آخر عن نفسه "...ثم أن من فضل الله علي أني نزلت على بغلتي ونويت رؤية الخطيب الذي يخطب لتعلق همتي به وتاقت نفسي أيضا لسماع كلامه وهو لا يمكن رؤيته لازدحام الناس عليه ربما قاصده أن أحتمل المشي إليه والاجتماع به مات أو انكسر وذلك معلوم بالعيان إلا إن سبق إلى مكان قبل اجتماع الجموع فيها فتوجهت إلى موضعه ورأيته فدخلت الصف الذي يليه والناس حوله بالأعمدة يضربون من يريده فلما توجهت إليه ودخلت من حوله وإذا بالناس تركوا لي ممرا إليه وفرجة لديه إلى أن وصلت إلى الضرابين بالأعمدة فأتى إلى واحد منهم فأخذ بيدي إلى أن بلغ إليه وسلمت على ركبته وسمعت كلامه أعني خطبته وتبسم في وجهي وانبسط ولم ينقبض..." والملاحظ أن تتضمن هذه الأخبار أكثر من غريب. لكن الورثيلاني أثبت أنه لا يقبل الأمور العجيبة والروايات التي تحدث عنها وكأنه يميز بين نوعين من العجيب نوع يمكن تصديقه وأغلبه مرتبط بذوي الكرامات والتجليات ونوع لا يمكن تصديقه واعتبره ملفقا على غرار ما يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم.[24]

تمتع الشيخ الورثيلاني بمكانة سياسية إلى جانب مكانته الدينية سواء عند السلطة أو عند عامة الناس. أما في المجال السياسي فقد اعتمد عليه حكام قلعة بني عباس وآل القضي في تهدئة الأوضاع الخارقة بين القبائل وإصلاح ذات البين وغالبا ما كان يتدخل بسبب عدم توقف القتال بين المسلمين في المناطق التي انتقل إليها. وقد كان الشيخ الورثيلاني يكره أهل الحضر والحكام العثمانيين ولم يكن يرضى بالأوضاع التي آلت إليها الجزائر خاصة بعد أن أصبحت المناصب الدينية كالإفتاء والقضاء تشترى بالمال ووصل الأمر إلى الامتناع عن أداء الصلاة ومنها الجمعة خلف هذا النوع من العلماء والأئمة،[25] يتدخل لإصلاح ذات البين، يعلم مبادئ الدين ويصحح ما شاذ عن الصواب منها. لايزال قبر الشيخ الورثيلاني إلى اليوم ببني ورثيلان يضم زاويته ومدرسته ومسجده، يأتونه الطلاب من مختلف أنحاء الجزائر.[26] ويذكره أبو القاسم محمد الحفناوي في كتابه "تعريف الخلف برجال السلف" بقوله: " هو الامام العالم شيخ مشايخ الإسلام الورع الزاهد الصالح العابد المتبع لأثر الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام، الجامع بين المعقول والمنقول، ومربب السالكين وقدوة العلماء العاملين وبقية السلف الصالحين، العالم الرباني والقطب الصمدائي والشريف النوراني الشيخ سيدي الحسن الورثيلاني، كان رحمه الله مجاب الدعوة شديد السطوة لا تأخذه في الله لومة لائم، ليله قائم ونهاره صائم."[27]

2. مؤلفاته

ازداد نشاط الشيخ الورثيلاني من خلال سفره داخل وخارج الجزائر رغم الأوضاع السياسية التي شهدها القرن 12 هـ/ 18 م نتيجة انتشار الثورات في الشرق والغرب [28] تتضمن المصادر الفقهية التي تأثر الورثيلاني الوغليسية نسبة إلى مؤلفها الشيخ عبد الرحمن الوغليسي الذي يقال إنه تأثر بأبي حامد الغزالي وقد وجدت في نص الرحلة بعض الصفحات تدل أن الحسين الورثيلاني كان غزاليا بعض الشيء خاصة نظريته إلى الزهد ولكن مجمل النص يشير إلى أنه كان مستقلا وكان يبدي رأيه وتفسيره بطريقة الخاصة بالاعتماد على المنقول والمعقول دون أن ينحاز تماما إلى هذا المذهب أو ذلك. كما تشير بعض المصادر التاريخية إلى أن الشيخ الورثيلاني كان ينتمي للطريقة التيجانية إلا أن المؤرخ أبو القاسم سعد الله يشير إلا أنه ينتمي للطريقة الزروقية الشاذلية والذي اجتمع به في الأزهر خلال رحلة الورثيلاني للحج .[29]

ألف الشيخ الحسن السعيد الورثيلاني العديد من الكتب في الفقه والتصوف والتوحيد أغلبها عبارة عن مخطوطات [30] أهم وأكبر مؤلف للشيخ الورثيلاني في التاريخ والأخبار حمل عنوان: "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" والذي لا يستغنى عنه كمصدر في دراسة تلك المرحلة من تاريخ التواجد العثماني في الجزائر تم نشرها سنة 1908 م من طرف محمد بن شنب وهو يضم رحلة الشيخ الحسين بن محمد الورثيلاني من مسقط رأسه إلى مكة المكرمة قاصدا الحج سنة 1766م، ويعتبر هذا المؤلف الرحلة الوحيدة تقريبا التي نشرت كاملة في هذه الفترة ويعود ذلك لأن الشيخ الورثيلاني أملاها على أكثر من واحد من تلاميذه فحفظوها من الضياع بتعدد نسخها . نسخ الرحلة سعيد بن أحمد بن يدير العباسي القلعي سنة 1182هـ/1768م[31] صدرت أول طبعة للرحلة الورثيلانية في تونس سنة 1903م ثم طبعت بمطبعة بيارفونتانا بالجزائر سنة 1908م بعد أن صححها محمد بن

أبي شنب والذي قابل ثلاث مخطوطات والنسخة المطبوعة في تونس ونشرها بطلب من الحاكم العام الفرنسي جونار. وتحتوي النسخة على 713 صفحة وخمس صفحات تشمل مقدمة الناشر والمصحح وترجمة المؤلف وأزيد من 105 صفحات لفهارس الأعلام وأسماء الأماكن والقبائل والأعراش وأسماء الأماكن والقبائل والأعراش ختمت بأسماء المصادر التي تزيد عن 330 مصدرا في مختلف العلوم.[32]

كما ألف الشيخ الورثيلاني أيضا مصنفات عديدة منها: شرح القدسية للإمام عبد الرحمن الأخضري، شرح وسطى الامام السنوسي، شرح خطبة الصغرى للسنوسي، حاشية صغير الخرشي، كما شطر بردة للبوصري، وشرح محصل المقاصد للإمام أبي العباس أحمد بن زكري التلمساني لكنه توفي قبل أن يتمه. [33] ومن أهم أعماله التي خصصت للتصوف شرح كتاب عن الصلاة أوصاه مؤلفه القرشي المدني بشرحه. وخصص الورثيلاني قصيدة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم تتألف من 500 بيت على وزن البردة وقصيدة الكواكب العرفانية والشوارق الإنسية في شرح الألفاظ القدسية، وغير ذلك من القصائد والتأليف والتقارير. [34]

4. رحلة الحسين السعيد الورثيلاني

جاءت الرحلة الورثيلانية في شكلها الخارجي كاملة مرتبة ترتيبا زمنيا على حسب الأحداث، وقد جاءت بأسلوب نثري تتخللها بعض الأبيات الشعرية استهلها الرحالة بديباجة خاصة وقد جاء مؤلف الرحلة كبيرة في حجمها فقد جمعت بين التحصيل العلمي ومقاصد الحج فهي عبارة عن سجل لما عاشه وشاهده سواء تعلق بالحج أو بالحياة العلمية والاجتماعية والاقتصادية للبلدان التي مرر بها [35] فقد كان الكثير من الرحالة لا يكتفي بزيارة واحدة بل يكررها لمرات عديدة ومنهم الورثيلاني الذي حج ثلاث مرات متتالية [36]. وتشير الكتابات التاريخية إلى أن الشيخ الورثيلاني شد الرحال إلى الحجاز في المرة الأولى سنة 1153هـ رفقة والده وهو في سن الثمانية عشر ربيعا. والثانية سنة 1166هـ في سن الواحد والأربعين من عمره. والثالثة سنة 1179هـ ودامت ثلاث سنوات[37] في احدى هذه الحجات اضطر إلى العودة للجزائر فكتب له حجتين فقط. وفي كل مرة كان يلتقي عند مروره بتونس ومصر والحجاز بالعلماء والمشايخ فيأخذ عنهم. حيث اجتمع بالشيخ الهماق صاحب الطريقة المشهورة بالمدينة المنورة، كما أخذ عن علماء مصر أهمهم الصعيدي والحفناوي والجوهري والنفراوي والبليدي والصباغ والفيومي.. وغيرهم كثير ممن أجازوه أثناء اقامته بالأزهر. حيث أجازه بالعلوم العقلية والنقلية وعن طريق القراءة والملازمة. كما اجتمع بكثير من علماء طرابلس وتونس وأخذ عنهم أمثال الشيخ محمد بن عبد العزيز والشيخ عبد الله السوسي المغربي والشيخ محمد الغرباني والشيخ قاسم المحجوب والشيخ صالح الكواش والشيخ أحمد التيجاني.[38] جاء في مقدمة الرحلة تضمنت أهداف تأليفها وهي عبارة عن تراجم لحياة عدد من العلماء والأولياء الذي ذكر أوصافهم ودعا الى الاقتداء بهم. وتتبع أثارهم ويقول: لما رأينا من وقوع الإهمال في تلك التراجم في وطننا فرسمنا كل ذلك رسما جيدا، فحفظت من كل خلف وصف أسلافه، ونقلت من كل نوع أخبار أصله، علما مني لا يمجه السمع السليم، والبع المستقيم، ريحانة لما يجده المتأخر بعدنا، ورحمة لما يحصل من اقتباس

الأنوار في وطننا." كما تعرض الورثيلاني في مؤلفه إلى تفاصيل معالم طريق الحج الوعرة والسهلة وبذلك قدم صورة عن مدى استطاعة الحج أو عدمها.[39]

كان الورثيلاني أثناء رحلاته الثلاثة يدون ويسجل كل ما يشاهده أو يسمع به أثناء فرصة استراحة القافلة في دفاتر وأوراق على شكل مذكرات وتقييدات حتى لا تفلت منه المعلومات، وبعد عودته إلى وطنه أخذ في كتابة الرحلة وترتيبها، حيث انتهى من تدوينها ونسخها يوم الفاتح من شهر شعبان سنة 1182هـ وعنون رحلته بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار التي تعد من أهم الرحلات الجزائرية حجازية متوفرة كاملة ومطبوعة فهي من أهم رحلات الجزائريين في العهد العثماني سنوات 1125-1139هـ/1713-1779م عبر خط السير الجزائر – تونس وليبيا- مصر- الأردن- مكة –الجزائر. تعتبر من أهم الوثائق التاريخية التي تؤرخ لفترة العهد العثماني وترسم صورة الحياة في الجزائر وفي الوطن العثماني. كما تعد أدبا من أدبيات التواصل وتمثل أشبه ما يكون تقرير ممزوج بالنص التاريخي والأنثروبولوجي والروائي والمذكراتي.[40] قدمت الكثير للتاريخ في مجال الرحلة، لأن رحلاته كانت برا مما مكنه من وصف طريقه بالتفصيل، وقد صب اهتمامه الشيخ الورثيلاني في رحلته على الزوايا والمرابطين وحياة العامة مع السلطة العثمانية.[41] وخصص قسما كبيرا لأخبار المتصوفة في الجزائر، وسمة التصوف ظاهرة في مؤلفه. ولم يغفل الرحالة عن الحديث حول الخرافات والغيبيات والكرامات المنسوبة إليهم. وقد ذكر أيضا بعض القضايا الشرعية كمسألة شروط الساعة وناقش مسألة شرب القهوة والتدخين وسماع الموسيقى. واستنكر خروج المرأة متبرجة وقطع الميراث عنها في بعض الجهات وغير ذلك من العادات التي اعتبرها قبيحة وسماها عمل الجاهلية واستنكر شيوع الرشوة والمحسوبية ونهب الأوقاف وانتشار الظلم والاعتداء على الآخرين وأعاب الورثيلاني عدم اهتمام أهل بلده بالتاريخ، وسخريتهم من دراسته ودارسيه واعتبر علم سير الأنبياء وجزء هام منه. وقد حز في نفسه ذلك بينما رأى هو أن علم التاريخ يزيد في فضل الانسان ويبعده عن القبائح ويرى أيضا أن مرتبة العلماء تزيد وتنقص بعلم التاريخ وهو طموح الى نيل مرتبة عليا علما وولاية.[42]

وصف الورثيلاني مؤلفه في المقدمة بعد أن حمد الله وأثنى عليه بقوله: "...أنشأت رحلة عظيمة يستعظمها البادي، ويستحسنها الشاذي، فإنها تزهو بمحاسنها عن كثير من كتب الأخبار...". في مقدمة الرحلة كتب الورثيلاني أنه كان ينوي كتابة رحلة عظيمة تكون مفخرة له ولبلاده لكن سرعان ما ظهر عليه الفتور حسب قول أبو القاسم سعد الله وأكثر من النقل والاستطراد. ويصف الحفناوي الرحلة الورثيلانية بقوله: "... فمن تأليفه الرحلة السنية التي سارت بها الركبان، وقد دعا لناسخها ومالكها وناظرها، فهي حصن ودرع متين...". وقال عن الرحلة محمد مخلوف صاحب مؤلف شجرة النور الزكية في طبقات المالكية:".. وله رحلة حافلة في مجلد ضخم سماها نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار." كما ذكر الدكتور محمد بن أبي شنب بقوله: "...أنفس تصنيف رصعت جواهره في وطن الجزائر، و أعلق تأليف اشتهر بين البوادي والحواضر، لاشتماله على عوارف المعارف، وظرائف الطرائف، وأوابد العوائد وفرائد الفوائد ونسق الأوصاف الكاملة وحل المسائل الشائكة، تارة راتعا في رياض الفقه والحديث والتوحيد، وتارة واردا أحياض التفسير والتاريخ والتجويد، وآونة طامحا إلى

التصوف والنصح والوعظ باذلا في ذلك كل غاية الجهد والنكظ، فاصلا جمانه بمرجان الحكايات الأنيقة ومرصعا وشاحه بياقوت الأشعار الرقيقة وغير ذلك مما هناك..."[43] وكل من ترجم للشيخ الورثيلاني يثبت نسبة الكتاب له أمثال محمد ابن ميمون وغيره.[44]

5. الاعداد للرحلة

سبق رحلة محمد السعيد الورثيلاني إلى الحجاز رحلة داخلية في الجزائر قصد زيارة رجالات العلم والفقهاء، وكذلك قبور أولياء الله الصالحين في بجاية ودلس غربا وقسنطينة شرقا. هدف من ذلك الاعلام برحلته والحصول على بركة هذه الشخصيات ودعواتهم وهو ما يتضح في الجزء الأول من الرحلة إلى غاية الصفحة 146. ودليل أهمية ذكر أولياء الله في فكر الورثيلاني قوله: "ولعل الله بذكرهم يزيل الحجاب عنا ويرزقنا الوهب الرباني لي ولذريتي ولمن تعلق بي وأن يحفظني من العوائق عن الوصول إلى الله وأن يجمع شملنا ويرزقنا ما رزق به أهل وده..." ويضيف "ولتزداد النفس رغبة فيهم ورجاء أن تكون همتك كهمتهم فإن الرحمة تنزل عند ذكرهم."[45] لقد كان الاعداد للرحلة الورثيلانية معنويا أكثر منه ماديا، ويصف الورثيلاني الجو الروحي الذي ينبغي أن يتحلى به الحاج من عقد للنية وابتغاء مرضاة الله والابتعاد عن الرياء. و يصف هذا البعد بقوله: "و بالجملة فينبغي أن ينوي بسفره رضى الله تعالى وأن يشغل نفسه بالتوجه إلى الله وإلى بيته ومواجهة نبيه (صلعم)... و أصحابه...وأنبياء الله ورسله... وأن ينتظر شفاعتهم بأن يتعلق بهم بحيث ينوي الانتقال من أوصافه المذمومة إلى الأوصاف المحمودة و السفر من الخلق إلى الخلق ومن طبائعه الردية إلى السجايا السنية ... و ينوي أيضا أن يكون من وفد الله تعالى و ضيوفه... و ينوي إغاثة المضطر ما أمكنه بماله أو جاهه وأن يعلم الجاهل إن كان من أهل العلم أو يسأل العالم إن كان جاهلا، وأن ينوي الزيارة لأحباب الله الأحياء و الأموات في كل وطن... و أن يعتبر و يوحد الله فيما يراه من عجائب المخلوقات..." خطط لانطلاق الرحلة على الأرجح من قرية آنو بمنطقة بني ورثيلان. و يصف الورثيلاني بداية الرحلة على النحو التالي: " فلما حان السفر وآن حاله ذكرنا بعض ما ورد ذكره و صلينا الصلاة الواردة و ختمنا بالصلاة في المسجد (مسجد صغير في أعلى القرية) ثم أتينا أهل البيت و الخدام و الطلبة و الجيران ومن أتي يودعنا ودعوا لنا و دعونا لهم و عند ذلك رفعنا ما يحتاج الرفع و انفصلنا على حسن الانفصال ووقع البكاء و الصراخ من أهل البلد لما كان من أنسهم بنا إذ اعتقادهم ما دمنا معهم لا يقع بهم إلا الخير و البركة ... لأن القلوب قد تعلقت بالمصطفى صلى الله عليه وسلم فسهل عليها الفراق من أجل ذلك قال تعالى: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم، الآية. فإذا كان النبي أولى من النفس فكيف يبقى التعلق بالأزواج والذرية والمال بل المتروك كالعدم بالقياس إلى المطلوب إلا ما ألزمتك به الشريعة من الوصية على الأولاد والنفقة على من تلزمك نفقته..."."[46]

6. طريق الرحلة

انطلقت رحلة الورثيلاني من قصر الطير نحو سيدي خالد وأولاد جلال وبسكرة ومنها إلى سيدي عقبة ثم الوادي. ومنها تابع سيره على الساحل الليبي متوقفا بطرابلس وبرقة. وقد وصف الورثيلاني هذه الأماكن

بالتفصيل. فيقول في وصف بجاية مثلا " وبالجملة ففضل بجاية مشهور وعلم أهلها مذكور قال الشريف التلمساني دخلت بجاية في القرن الثامن فوجدت العلم ينبع من صدور رجالها كالماء الذي يتبع من حيطانها... وقد سمعنا أن بجاية فيها خمسمائة صبية يحفظن المدونة، أما اللاتي يحفظن ابن الحاجب فلا يحصي عددهن إلا الله تعالى حاصله جعلنا الله في زمرتهم وأفاض علينا من بركتهم بمنه وكرمه آمين."[47]

كما وصف مصر وأهلها وعلمائها وعاداتها. ومن مصر توجه إلى الجزيرة العربية فوصف ساحل البحر الأحمر والقرى والمدن التي تحاذيه وعادات القبائل هناك.[48] خلال نفس الرحلة يصف الشيخ الورثيلاني كلما قارب أرض الحجاز ومكة العيون والآبار والحياة السياسية والزراعية. ليصف مكة والمدينة التي أراد البقاء بها. لكن أهله المرافقين له منعوه من ذلك. وقد كان الشيخ الورثيلاني يغتنم فرصة استراحة القافلة ويكتب ملاحظاته في شكل مذكرات وتقاييد حتى لا تضيع منه المعلومات. لم تحدد المصادر والمراجع التاريخية إن كان الشيخ الورثيلاني قد ألف هذه الرحلة دفعة واحدة أو على مرات، لكن الأكيد أن الشيخ بعد عودته إلى دياره أملاها على تلامذته ليسجلوه وقد أتم الإملاء سنة 1182م. ولم يراجع ما أملاه لذلك كثر التكرار والأخطاء وتداخل المناسبات.[49] وخلال رحلة العودة وفي الأراضي الليبية أضاع الشيخ الورثيلاني دفترا كان يحتوي على ملاحظات حول أماكن الماء ببرقة. ومما جاء في رحلة الورثيلاني من حديث عن الأمن يجعله مميزا من حيث واقعيتها لأنه لم يقم باجتزاء المكان ليجعله مسرحا لخياله. إنه يصف المكان ذاته الواقعي دون أن يغير فيه. فالتعامل مع المكان ليس تعاملا من أجل التخييل بل طلبا للنصح وتذكيرا ببعض الأعلام ووصفا لموكب الحجيج ومن معهم من أهل الكرامات. وهو في ذلك ينفتح على خطابات أخرى أهمها التاريخي والأسطوري يخضع لتراتيب الزمن حسب خط الرحلة حتى وان تخلل السرد والوصف بعض الوحدات الصغرى التي تفرض نفسها عندما يستطرد السارد للإخبار عن أمر تاريخي أو ديني.[50]

وعن أسباب تدوين الرحلة فقد أشار الشيخ الورثيلاني في مقدمة مؤلفه إلى بعض أسباب تدوين رحلته، ولعل أهمها:

- تعلق قلبه بتلك الديار والآثار المقدسة

- لقاء العلماء الأفاضل والمحدثين والمفسرين

- إعجابه بالمياه والبساتين والأرياف والمزارع والأمصار

حيث يقول الورثيلاني: "...فإني لما تعلق قلبي بتلك الرسوم والآثار والرباع والقفار والديار والمعاطن والمياه والبساتين والأرياف والمزارع والأمصار، والعلماء والفضلاء والنجباء من كل مكان من الفقه والمحدثين والمفسرين الأخيار، والأشياخ والعارفين، والإخوان والمحبين من المجاذيب المقربين والأبرار من المشرق إلى المغرب، سيما أهل الصحو والمحو...أنشأت رحلة عظيمة.."[51]

7. مصادر الرحلة

صرح الورثيلاني في مقدمة رحلته أنه اعتمد على مصادر مغربية وأخرى مشرقية عديد[66]، وتتضمن الرحلة الورثيلانية جملة من المصادر ومما ذكره بشكل مباشر قوله: "وأن اعتمادي في ذلك على رحلة شيخنا وقدوتنا ومن على الله وعليه اعتمدنا سيدي أحمد بن محمد ناصر الدرعي الجعفري... وأيضا من بعض كتب التاريخ كنبذة المحتاجة في ذكر ملوك صنهاجة ومختصر الجمان في أخبار أهل الزمان وكذا حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة وغيرها..." ويضاف إلى ذلك ما ورد في متن الرحلة مثل:

الرحلات السابقة: وقد اطلع الحسين الورثيلاني على الرحلات السابقة التي سلكت نفس المسار إلى مكة بحيث أنه كلما توقف عند قرية أو مسجد أو وادي أو مقبرة يذكر ما ذكرته الرحلات السابقة مثل رحلة أبي سالم العياشي ورحلة أحمد بن ناصر[67] ورحلة التجاني[68] و رحلة أبو سالم.[69]

كتب الفقه والتفسير: ويتضح في نص الرحلة أن الحسين الورثيلاني كان على دراية واسعة بالفقه وأصوله ومدارسه وأحيانا يقدم فتاوى وتفاسير متميزة تخص ظواهر مستجدة وأخرى تخص "التنبيه" إلى تلك "البدع" التي دخلت المجال الديني. يضاف إلى ذلك ما يذكره عرضا من أسماء الفقهاء المعروفين في تلك الفترة مثل الإمام ابن مرزوق التلمساني، وعبد الرحمن الثعالبي الذي وصفه "بحر الولاية والعلم"، والتواتي البجائي."[70] والشيخ زروق من "ثمقرا" واعتبره ذو كرامات عديدة.[71]

كتب التاريخ: اعتمد الحسين الورثيلاني على عدد من المصادر التاريخية التي كان يوظفها في العلاقة مع المناطق التي شملتها الرحلة. يخوض أحيانا في تفاصيل تاريخية كثيرة على النحو الذي نجده في وصفه حملة الصحابي عقبة بن نافع ونزاعه مع كسيلة أحد أمراء البربر حديثه عن الصحابي أبولبابة بقابس في تونس إذ يشير إلى أحد المؤلفات التي روت قصة هذا الصحابي، "اختصار معالم الإيمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان." لصاحبه ابن ناجي.[72] وأحيانا، كان يمارس بعض التأريخ عندما يتحدث عن حال ولاة المناطق التي كانت تحت الخلافة العثمانية، ولعل هذا البعد التاريخي هو الذي جعل الكاتب يضيف تعبير "علم التاريخ والأخبار" إلى عنوان الرحلة.[73]

اعتمد الشيخ الورثيلاني في رحلته على العديد من المصادر :

- ❖ في الجزائر انطلق من مشاهداته الخاصة وقد طافها شرقا وغربا. واعتمد على رواية العلماء الذين لقيهم. ومن الكتب التي اعتمد عليها:

- "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية" لأبي العباس أحمد بن أحمد الغبريني
- "النبذة المحتاجة في ذكر ملوك صنهاجة" لأبي عبد الله محمد بن علي بن حمادة بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي

- "الوغليسية " لمؤلفه محمد الوغليسي بشرح عبد الكريم الزواوي

❖ طرق الحج ومصر وطرابلس والجزيرة العربية فقد اعتمد على:

- "رحلة الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي الجعفري " المعروفة بالرحلة الناصرية اعتمادا كبيرا وقد ذكره مرارا بلفظ "شيخ شيوخنا"
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي
- كتاب عقود الجمان في مختصر أخبار الزمان لمحمد الشاطبي.
- كتاب الأدلة السنية في مفاخر الدولة الحفصية للشيخ ابن الشماع الحفصي.
- ابن الشماع ومؤلفيه "حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة" و "الأدلة السنية"
- رياض الصالحين لعبد الرحمن الثعالبي.
- مؤلفات كل من المقريزي. البكري. العبدري. السمهودي. ابن فرحون، صحيح البخاري، كتاب خليل لابن إسحاق ...وغيرهم.

8. مضمون الرحلة

تطرق الشيخ الورثيلاني في مؤلفه بالدرجة الأولى إلى الأمن العام ذلك أنه أشار إلى اللصوص والاعتداءات على القوافل، كما شملت الرحلة معلومات عن الحياة اليومية والحالة المعايشة وأسلوب الحكم ومستوى الثقافة وطبيعة العادات التي تعرف عليها في سفره، كما جاءت الرحلة الورثيلانية بذكر عدد كبير من المتصوفة مع ذكر زواياهم وكرماتهم والأساطير المنسوجة حولهم.[74] كما اعتنت رحلة الحسين الورثيلاني بالوصف الدقيق للأماكن التي زارها. وقد تضمنت معلومات عن جغرافية هذه المناطق بحيث وصف المدن والأمصار وحدد مواقعها والمسافات الت يتفصل بينها وذكر خصائصها ومناخها وموادها الطبيعية. كما تعرض للمسالك والطرق والممرات، ولذلك كانت الرحلة الورثيلانية دراسة لصورة الأرض أو ما يعرف حاليا بعلم الخرائط.[75] وخصص الورثيلاني قسما هاما من رحلته لأخبار المتصوفة في الجزائر وفي غيرها. ثم عرج الشيخ الورثيلاني في رحلته قسما عن الخرافات والغيبيات والكرامة المنسوبة إليهم. كما تحدث عن شروط الساعة. وعزمه على صيام الدهر وقد وصف أيضا مرض الحمى الذي أصابته في المدينة واعتبرها هدية من الرسول صلى الله عليه وسلم. وناقش قضية شرب القهوة وتناول الدخان وسماع الموسيقى استنكر خروج المرأة متبرجة وقطع الميراث عنها في بعض الأماكن وسمى كل ذلك عادات الجاهلية.[76]

لا نجد في الرحلة أحكاما كثيرة على الخلافة العثمانية التي وردت على لسانه بتعبير "الترك" التي كانت تشمل جغرافيا المناطق التي عبرتها الرحلة، و قد ذكر الرحالة خبر الولاة المحليين أحيانا بالنقد و أخرى بالثناء حسب المناطق، و يبدو أنه تجنب الخوض كثيرا في المجال السياسي و حصر كتابته في الجانب الروحي و أحيانا التاريخي، ويمكن أن يكون مرد ذلك أن الخلافة ذات طبيعة إسلامية، فنظر إلى حكمها أمرا طبيعيا، كما اعتبر الحكم العثماني في بعض المدن مثل طرابلس سدا أمام حملات الغزو الصليبي المتكررة آنذاك عن تلك المدن. ويذكر في حالات محدودة بعض الظلم المنسوب إلى "الترك" إن في شكل حجم "الخراج" المسلط على الناس في منطقة الجريد في عمالة تونس، أو في شكل الدمار الذي يحدثه عسكر الترك أثناء تدخلهم من أجل فك النزاعات المحلية كما حدث في المدينة القديمة ببسكرة.[77] لكن الورثيلاني استنكر في طريقة الحكم العثماني قلة العلم في هذا العهد. كما انتقد شيوع الرشوة والاستيلاء على الأوقاف وانتشار الظلم. وقد قال عن أهالي الجزائر خلال رحلته للحج " إن أهل وطننا فيهم الغلظة والجفاء وسوء الأدب وعدم اذعانهم للحكم" وقال أيضا " وأما الركب الجزائري فلا حكم عندهم أصلا، ولا يتوقفون عند الأمر والنهي". كما أن الشيخ الورثيلاني بين الجزائر وتونس وطرابلس وانتهى الى أن الحياة الاقتصادية في الجزائر وتونس أغنى وأفضل، في حين أن ليبيا كمثيلاتها مصر والحجاز ينتشر فيها فساد الأمن وقلة المياه وسوء حال الزراعة إضافة إلى تراجع نسبة الأراضي الخصبة.[78]

إن رحلة الشيخ الحسن السعيد الورثيلاني تعتبر موسوعة أخبار عن جزء كبير من العالم الاسلامي في القرن 12هـ / 18 م. ساهمت عدة عوامل في تصنيف هذه الرحلة على هذا الأساس أهمها:

- تكراره لرحلة الحج ثلاثة مرات

- اتقانه للغة العربية

- معرفته لعادات الشرق والغرب

- حكمه المنصف على العصر ولأهله في الكثير من المناسبات

- وصف الظروف الصعبة التي كانت تتعرض لها قوافل الحج منها قساوة الطقس والمناخ وغياب الأمن لردع اللصوص الذين كانوا يتربصون بالقوافل ويعتدون عليها وأيضا صعوبة التزود بالماء ورداءته خاصة مع شدة الحرارة.

- رحلة الشيخ الورثيلاني رحلة حافلة بالملاحظات والانطباعات والأحكام جديرة بالدراسة والبحث بطريقة أكثر عمقا وشمولا.[79]

- شخصية الورثيلاني غير بعيدة عن مسار رحلته ولا عن غرضها، مرتبطة بالحج أثناء الرحلة كجملة المرافقين من الأهل والأصحاب والتلاميذ والمريدين أو في طريقها كالمشايخ والأولياء والصالحين الذين قام بزيارتهم أو زيارة أضرحتهم.[80]

- أهمية الرحلة متنوعة بين التاريخ والجغرافيا والتصوف والفقه التي خاض فيها وأفاض في ذلك. والسياسة التي كان غير راض عن أوضاعها خلال العهد العثماني في الجزائر، والاقتصاد رغم أن واهتمامه به كان محدودا. على عكس العمران الذي كان مولعا به وقد أبدى اعجابه به خاصة في مصر وعاب اهماله في الجزائر.[81]

- تكمن أهمية الرحة الورثيلانية وقيمتها التاريخية الكبيرة والعلمية والأدبية بفضل ما اشتملت عليه من معلومات مهمة لها علاقة بالحياة السياسية والاقتصادية وأسلوب العيش ومستوى الثقافة والعادات والتقاليد والاهتمامات الشعبية للمدن والبلدان التي زارها خلال رحلته إلى الحج انطلاقا من مجانة، زمورة، قصر الطير، أولاد موسى، وطن ريغة، أولاد دراج، بريكة، بسكرة، سيدي عقبة، الخنقة، أولاد سيدي ناجي، نفطة، الحامة، توزر، زوارة، طرابلس، تاجوراء، لبدة، زلتين، مصراتة، بلاد السرت، ثم إقليم والإسكندرية فالقاهرة، المدينة ومكة. أما طريق العودة فقد كان من القاهرة نحو الإسكندرية وطرابلس، تونس، الكاف، قسنطينة، زمورة ثم وصل قريته بني ورثيلان. وبذلك تعد هذه الرحلة مصدرا مهما لدراسة هذه البلدان خاصة في العصرين الوسيط والحديث وحلقة اتصال وتبادل فكري وعلمي بين المشرق والمغرب الأوسط.[82]

9.خاتمة:

- ❖ تتضمن الرحلة بنية حكاتية تقوم على سرد عدد من الأفعال والأحداث التي حصلت في الأغلب لصاحبها على امتداد خط سير معلوم يبدأ من لحظة خروج الرحالة إلى مقصده إلى غاية رجوعه منه.
- ❖ رغم أن الرحلة الورثيلانية جاءت بأسلوب نثري لا يعني ذلك فصلها عن باقي النصوص النثرية السردية لم يخل من خيال وانسجام واتساق وأفكار وعواطف يجعل المطلع عليها أو دارسها لا يغفل عن جانبها الأدبي حتى وان قدمت كرحلة من مكان معلوم إلى آخر عودة وإيابا.
- ❖ لم يهتم الورثيلاني بالجانب اللغوي في تدوينه للرحلة ما جعلها أقرب للتقرير الصحفي من حيث العرض وبساطة التقديم لم يمنع من توظيف بعض الجمل والتعابير المنزاحة عن المعتاد تصويرا وصفا كقوله: " لم نزل كذلك بصواعق الشوق ترتعد الجوارح منها وتعطش...فجناح العشق له ريش.." وفي وصفه لفراق أحبته من الزهاد والعارفين قوله: " فغربت شمس الاجتماع، وكسف نور المشاهدة والانتفاع، وإنما أقبل ليل البين وظلمة الاقصاء والانقطاع، تتجافى جنوبها عن مضاجع الأنس وضاقت بنا الوحشة."[83]
- ❖ التزام الورثيلاني في أسلوبه بالكثير من المحسنات البديعية والمرادفات والاقتباسات القرآنية النبوية.
- ❖ للرحلة الورثيلانية فوائد عديدة منه استنباطات فقهية ومباحثات ومطارحات أدبية مع العلماء الذين لقيهم في رحلته. تضمنت معلومات وفهارس علمية حول هذه الرحلة لتكون من تلاث الجزائر الثقافي والتاريخي الذي ينبغي أن يهتم به الدارسون والباحثون.

- وتشمل الرحلة على مخزون كبير من أسماء علماء كل منطقة في مسار الرحلة بتفصيل "شديد" ويتشابه الأمر بعض الشيء في ذكر مسميات المناطق التي ما زال الكثير منها يحتفظ بنفس التسمية رغم بعض الفروق الجوهرية مثل بحر الروم إشارة إلى ما أصبح يعرف الآن بالبحر الأبيض المتوسط وبحر القلزم وهو البحر الأحمر.

- يجد القارئ صعوبة في تلخيص نص الرحلة التي تحتوي على 824 صفحة في مجلدين خاصة وأن أسلوب الشيخ الورثيلاني في أصله جد مختصر وليس به الحشو والإطناب والإنشاء على النحو الذي يمكن ملاحظته في بعض الكتابات في الزمن الحاضر. وما يستوقف القارئ أكثر امتلاء نص الرحلة بالقيم والمعاني في العلاقة مع أي موضوع أو ظاهرة وإذ وكان النص حلقات معرفية متنوعة ومتواصلة.

- ولا تخلو الرحلة رغم ذلك من بعض الصعوبات اللغوية والسردية. ويعود ذلك جزئيا إلى طريقة الكتابة آنذاك إذ الاسترسال طويل بعض الشيء وعلى القارئ وضع الفواصل والنقاط حال القراءة. ويبدو أن الرحلة لم تتعرض إلى عملية إعادة الصياغة.

- ويتخلل نص الرحلة الكثير من الفقرات والصفحات الاعتراضية التي تأخذ القارئ بعيدا عن مسار الرحلة وذلك بأن يبدأ النص بالقول "انعطاف" أو "طريفة" أو "لطيفة" أو "غريبة" أو "فائدة" أو عندما ينتهي من ذلك يذكرنا بالعودة إلى الرحلة بقولة "عودة " أو "انعطاف" وقد يمتد النص الاعتراضي الذي يسمى في أدب الرحلات بالاستطالات صفحات، ولربما لم يكن في عهدهم أسلوب استخدام الهامش في تفصيل ما يأتي عرضيا في النص فتداخلت الهوامش مع النص في هذه الحالة.

- وتشمل بعض الصعوبات في عدم انتظام التأريخ الزمني الخاص بمراحل الرحلة، فأحيانا يذكر الشهر بالهجري وأحينا بالميلادي مثل شتمبر أي سبتمبر أو دجنبر شهر ديسمبر وتارة يذكر أنه مكث بهده المنطقة عشرة أيام وتارة أخرى لا يتعرض للفترة على مسار عدة مناطق، وأحيانا يشير إلى الفصل كالقول إن الفصل كان بارد وثلجا، فنفهم من ذلك أنه يقصد فصل الشتاء، وعلى القارئ أن يملأ الفقرات بما توفر من المعلومات الزمنية المتناثرة. ونجد أيضا نقصا ملحوظا في الجانب اللوجستي في الرحلة من حيث حجم الكرب بالضبط وطبيعة المؤونة والعملة المستخدمة عدا بعض الإشارات العرضية.

6.المراجع

1 - عبد القادر بلعربي، " الرحلة الورثيلانية محطاتها ومصادرها المعرفية (1115هـ- 1713 م/ 1193هـ-1779م)"، مجلة آفاق فكرية، العدد 06، شتاء 2017، ص 81.

2- جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مج 11، دار بيروت للطباعة، بيروت، 2001، ص 259.

3 - عائشة دباح، " الرحلة العلمية وتأثيرها على الوضع الثقافي في الجزائر في عهد الدايات " رحلة الحسين الورثيلاني أنموذجا "، قضايا تاريخية، العدد 08، 1493هـ/ 2017، ص 49.

4- عبد القادر بلعربي، المرجع السابق، ص 82.

5- سعاد ترشاق، " العجائبي في الرحلة الحجازية الجزائرية – رحلة الورثيلاني - نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار أنموذجا-"، مجلة حقائق للدراسات النقدية والاجتماعية، العدد 15، ص 214.

6- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830، الأعمال الكاملة للدكتور أبو القاسم سعد الله 1، المجلد الأول 1-2، دار الغرب الإسلامي، ط2، 2005، بيروت، ص 382.

7- نفسه، ص 384.

8- عائشة دباح، المرجع السابق، ص 50.

9 - العمري بلاعدة، " الرحلات الجزائرية الحجازية الرحلة الورثيلانية أنموذجا"، دفاتر مخبر الشعرية الجزائرية، العدد 02، مارس 2016، ص 122.

10- نواف عبد العزيز الجحمة، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي من القرن السادس إلى القرن الثامن هجري (12-14) م، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط01، الامارات العربية المتحدة، 2008، ص 18.

11- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 382- 391.

12- نواف عبد العزيز الجحمة، المرجع السابق، ص 19.

13- عائشد دباح، المرجع السابق، ص 52.

14 - العمري بلاعدة المرجع السابق، ص ص 124-125.

15 - عبد القادر الصحراوي، "الرحلات الجزائرية إلى بلاد الحرمين من خلال رحلتي البجائي والورثيلاني"، الحوار المتوسطي، المجلد 09، العدد 07، مارس 2018، ص 06.

16- عايدة حباط، المرجع السابق، ص 52.

17- عبد القادر الصحراوي، المرجع السابق، ص 06.

18- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 394.

19- عبد الرحمن عزي، التواصل القيمي في الرحلة الورثلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار من تأليف سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني 1125-1193 هـ دراسة تم إعدادها لمؤتمر جامعة فيلادلفيا، الأردن حول ثقافة التواصل، نوفمبر،2009، دار كنوز الحكمة، الجزائر، 2011، ص05.

20- عبد القادر الصحراوي، المرجع السابق، ص 46.

21 - عايدة حباط، المرجع السابق، ص 52.

22 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 395.

23- حمزة بكري، " ركب الحج الجزائري من خلال رحلتي الحسين الورثيلاني وعبد الرحمن المجاجي"، مجلة عصور الجديدة، المجلد 10، العدد 01، مارس 1441هـ/ 2020م، ص 301.

24- سعاد ترشق، المرجع السابق، ص 221.

25 - عبد القادر بلعربي، المرجع السابق، ص ص 83-84.

26- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 394.

27- سعاد ترشق، المرجع السابق، ص 221.

28- كريم مقنوش، "منهج الكتابة عند الحسين الورثيلاني من خلال رحلاته رحلة "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار أنموذجا"، مجلة رؤى تاريخية للأبحاث والدراسات المتوسطية، المجلد 10، العدد 02، أكتوبر 2020، ص 02.

29- عبد القادر بلعربي، المرجع السابق، ص ص 83-84.

30- أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 394.

31- عدلان رويدي، "بلاغة وصف الفضاء الجغرافي في رحلة الورثيلاني المروسومة نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، الخطاب والتواصل، جويلية 2018، ص59.

32- عبد القادر بكاري، "حسين الورثيلاني والكتابة التاريخية من خلال رحلته الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، مجلد 08، عدد 01، جوان 2017، ص45.

33-عدلان رويدي، المرجع السابق، ص 60.

34- عايدة حباطي، المرجع السابق، ص 53.

35 – حمزة بكري، المرجع السابق، ص 301.

36- كريم مقنوش، المرجع السابق، ص 08.

37- عبد القادر بكاري، المرجع السابق، ص 43.

38 - عبد القادر بلعربي، المرجع السابق، ص 85.

39- نفسه، ص 89.

40- عائشة دباح، المرجع السابق، ص 58.

41- عبد القادر صحراوي، المرجع السابق، ص 46.

42 - العمري بلاعدة، المرجع السابق، ص، ص 123، 126.

43 - سعاد ترشق، المرجع السابق، ص 215.

44 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 396.

45 - صحراوي عبد القادر، المرجع السابق، ص، ص 41. 47.

46 - عبد القادر بكاري، المرجع السابق، ص 46.

47 - سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني، الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، المجلد الأول والمجلد الثاني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ص. 104.

48 - نفسه، ص. 46.

49 - نفسه، ص 104

50 - نفسه، ص. 43

51 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص ص 395- 397.

52 - سعاد ترشق، المرجع السابق، ص 220.

53 - العمري بلاعدة، المرجع السابق، ص 127.

54 - سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص 13.

55 - العمري بلاعدة، المرجع السابق، ص ص 128- 129.

56 - عبد القادر بلعربي، المرجع السابق، ص 86.

57 - عايدة حباط، المرجع السابق، ص 53.

58 - سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص. 115.

59 - نفسه، ص 114.

60 - نفسه، ص 116.

61 - نفسه، ص 115.

62 - نفسه، ص 156.

63 - نفسه، ص 122.

64 - نفسه، ص 115.

65 - نفسه، ص ص، 124-136.

66 - عبد القادر بلعربي، المرجع السابق، ص 87-88.

67 - العمري بلاعدة، المرجع السابق، ص 128.

68 - سيدي الحسين بن محمد الورثيلاني، المصدر السابق، ص 13.

69 - نفسه، ص183.

70 - نفسه، ص213.

71 - نفسه، ص 200.

72 - نفسه ص 222.

73 - نفسه، ص. 19

74 - نفسه، ص 20.
75 - نفسه، ص. 163.
76 - عبد الرحمن عزي، المرجع السابق، ص 06.
77 - عبد القادر بلعربي، المرجع السابق، ص 86.
78 - عايدة حباطي، المرجع السابق، ص 54.
79 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 397.
80 - عبد الرحمن، المرجع السابق، ص 06.
81 - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 398.
82 - كريم مقنوش، المرجع السابق، ص 09.
83 - سعاد ترشق، المرجع السابق، ص 223.